مجلة التعليمية
ISSN: 2170-1717
EISSN 2602-6015

المجلد 14 / العـدد: 01 (2024)، ص 619-630

تيمة الإرهاب في الرواية الجزائرية الحديثة

رواية المحنة ومحنة الرواية

The theme of terrorism in the contemporary Algerian novel
The fiction of ordeal and the ordeal of fiction

د.عفاف صيفي*

المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة (الجزائر)

Saifi.afaf@ensb.dz

تاريخ الاستلام: 2024/03/04 تاريخ القبول: 2024/05/13

ملخص:

يهدف هذا المقال إلى دراسة أحد أنماط الرواية الجزائرية المعاصرة، والذي اصطلح عليه باسم "رواية الأزمة" لأنها ظهرت في فترة من أصعب فترات تاريخ الجزائر، فترة اتسمت بالعنف الدموي ممثلا في الإرهاب، وهو واقع فرض على الروائيين خوض غمار تجربة جديدة في الكتابة الروائية للتعبير عن الواقع المرعب وتصوير المأساة التي طالت كل أطياف المجتمع الجزائري، وذلك بالوقوف بالنقد والتحليل لنماذج من هذا النمط الروائي الذي عالج وشرّح الأزمة.

فماهي السمات الفنية لهذا النمط الروائي الذي سمي تجاوزا بأدب الاستعجال أو "كتابة المحنة" المتولدة عن "محنة الكتابة"؟ خاصة وأن الأدباء كانوا وقودا لهذه العشرية.

الكلمات المتاحية: رواية الأزمة، أدب الاستعجال، وطار، مستغانمي، مفتي.

ABSTRACT: This article aims at studying a type of contemporary Algerian novel, called the "crisis novel," which appeared in one of the most difficult periods of Algerian history, a period characterized by bloody violence represented by terrorism, a reality that forced novelists to embark on a new experience in novel writing to express and depict the terrifying tragedy that affected the Algerian society as a whole. In our article, this has been done by criticizing and analyzing examples of this novelistic tendency that dealt with and explained the crisis.

What are the artistic features of this novelistic style, affectionately called the literature of emergency or "writing of the ordeal" that resulted from the "ordeal of writing"? Especially bearing in mind that the said writers were the fuel of this decade.

Keywords: Crisis novel, Emergency literature, Ouettar, Mosteghanemi ,Mufti.

* د.عفاف صيفي

1. مقدمة:

كان للأزمة التي عاشتها الجزائر في تسعينيات القرن الماضي أو ما يعرف بالعشرية السوداء، تأثير كبير على الجزائري فردا ومجتمعا، وقد تفاعلت معها الرواية تفاعلا لافتا، فظهر ما يسمى بالأدب الاستعجالي أو رواية الأزمة وقد كانت هذه النصوص محل متابعات صحفية أكثر منها متابعات نقدية، وهذا ربما لتداخل التخييلي واليومي تداخلا حد الالتباس. وهو ماجعل الدارسين يطلقون على هذا الأدب الذي يظهر في هذه الفترة يطلق عليه بالأدب الاستعجالي التي لم تلق رواجا لدى النقاد مفضلين عنها مصطلح "رواية المحنة" أو "رواية الأزمة" أو "كتابة المحنة" المتولدة عن "محنة الكتابة" خاصة وأن الأدباء كانوا وقودا لهذه العشرية.

- فماهي خصائص هذه الرواية موضوعيا وجماليا؟. - ماهي الرؤية الفكرية التي تطرحها؟

هذا ما يحاول هذا المقال طرحه ومناقشته، بالتركيز على بعض النماذج للطاهر وطار، أحلام مستغانمي وبشير مفتي باعتبار أن كل واحد منهم يمثل تجربة انطلاقا من محددات عمرية وإيديولوجية، وكذلك من مدى معايشته لوقائع سنوات الموت، فمستغانمي مثلا على خلاف وطار ومفتي كانت تكتب من خارج دائرة الخوف.

2.الرواية الجزائرية ومحنة الواقع:

تُعدّ الرّواية المرآة العاكسة لحياة الشّعوب باعتبار أنّها تعبّر عن قضايا ومشاكل المجتمعات على اختلافها، لِذلك كان لزاما عليها أن تستعين بعِدّة أجناس فنية أخرى، تتعانق معها وتستمد منها ديمومتها الأدبية، وتضفي صبغة على شكلها. ويعتبر الواقع من بين الروافد التي نهلت منها الرواية مادتها، هذه المادة التي كانت ولا تزال حجر الأساس للعديد من الروائيين في كتاباتهم، فهو بمثابة المادة الخام التي يعاد تشكيلها ضمن الإنتاج الإبداعي، وبهذا أضحت الرواية انعكاسا واقعيا وتاريخيا لحياة الشعوب والمجتمعات، فهي التاريخ الذي أهمله المؤرخون على رأي الكثير من النقاد.

لم تلتصق الرواية الجزائرية الحديثة بالواقع مثلما التصقت به رواية التسعينات التصاقا وصل حد التصوير الفوتوغرافي، مما جعل الواقع هو التاريخ والتخييل معا" لقد سايرت الرواية الجزائرية الواقع، ونقلت مختلف التغيرات التي طرأت على المجتمع بحكم الظروف والعوامل التي أسهمت في إحداث هذا التغيير ومن الملاحظ أن الرواية الجزائرية قد صبغت بصيغة ثورية خاصة الثورة ضد الاستعمار كما سايرت النظام الاشتراكي، وهذا ما نجده في عقد السبعينات، ودخلت الرواية فيما بعد مرحلة جديدة فيها ثورة ونضال وانهزام، إذ انطلق الكاتب من الواقع الذي عاشه في زمن الأزمة فاصطلح عليه أدب الأزمة"[1]

مع بداية السبعينات ازدهرت الرواية الجزائرية أيما ازدهار نتيجة التحولات الجذرية خلال هذه العشرية وفي هذا يقول واسيني الأعرج " شهدت هذه الفترة وحدها- السبعينات- ما لم تشهده الفترات السابقة من تاريخ الجزائر من إنجازات (...) فكانت الرواية تجسيدا لذلك كله!".[2]ومن أهم القامات الأدبية التي ظهرت في هذه الفترة نجد عبد الحميد بن هدوقة، واسيني الأعرج، زهور ونيسي، الطاهر وطار، عبد المالك مرتاض، حفناوي زاغر وتبعهم في

ذلك مجموعة من الأدباء الذين حملوا مشعل الرواية الجزائرية وزادوه توهجا مثل جيلالي خلاص، محمد ساري، أحلام مستغانمي، عمارة لخوص، محمد مفلاح، بشير مفتي و عز الدين جلاوجي والقائمة تطول.

3.رواية الأزمة أو الرواية الاستعجالية:

شكلت الرواية الجزائرية المكتوبة في تسعينيات القرن الماضي ظاهرة ثقافية وايديولوجية وإنسانية متميزة أثارت حولها جدلا كبيرا بين النقاد والدارسين وكذا الروائيين، فالجزائر في هذه العشر سنوات عاشت أبشع وأشرس حروبها إذ وقعت في صراع خطير حد الشلل وهو ما حدث بالفعل فقد شلت جميع أطياف المجتمع امام هول ما حدث ويحدث صراع داخل الذات التي لم تعد منسجمة فيما بينها، حيث تشابكت وانطمست هويتها, وقد انفرد الأدب بصفة عامة والرواية بصفة خاصة في تناول المأساة الوطنية ومحاولة تفكيك الصراع وتحديد مكانيزماته للوصول إلى حلول أو على الأقل فهم وتفسير لما يحدث، وهو ما كان صعب للغاية على الروائيين والنقاد على حد سواء وذلك لصعوبة مواجهة الذات فنحن القاتل ونحن المقتول ..نحن الجاني والمجني عليه في نفس الوقت فالمرجع التخييلي مرجعنا الآني فهو مازال يتجدد يوميا من الصعب بما كان كتابة هذا الراهن المتطرف المتوحش حتى وإن كان الروائي على درجة عالية من المهارة والتمكن والذكاء لتحليل الراهن وتفسيره .

وفي محاولة من النقاد لمواكبة ظاهرة الرواية الجديدة أطلقوا عليها مسمى كتابة المحنة أو رواية الراهن أو الأزمة وهو الاصطلاح الذي يتبناه النقاد والروائيون، حيث يرى الناقد أحمد بابوش أن مختلف الإنتاجات الأدبية من 1990 إلى 2000 تدخل تحت طائلة كتابة المحنة أو الكتابة الاستعجالية.[3]

بالإضافة الى مصطلح الأدب الاستعجالي الذي يحيل مفهومه إلى السطحية في الطرح وعدم النضج في المعالجة وانعدام الرؤيا والتحليل, وهذا المصطلح شاع أكثر في الأدب المكتوب بالفرنسية وهو ما يوضحه عبد الله شطاح يقول"الأدب الاستعجاليlittérature de l'urgence[4] وهو المفهوم الذي رددته الأوساط الفرنكوفونية في مقارباتها النقدية أو معالجاتها الصحفية، بينما انفردت المقاربات العربية للظاهرة في الملتقيات والكتابات الصحفية خصوصا بإطلاق مفهوم (كتابة المحنة) أو الاكتفاء بترجمة المفهوم الأول، يقول جعفر بابوش "لقد أطلق البعض من زملائنا الأدباء والباحثين الجامعيين على الكتابة في الفترة التاريخية الممتدة من 1991 الى غاية 2001 اصطلاح (كتابة المحنة) و(كتابات الاستعجال)"[5]. وقد لقي هذا الاصطلاح معارضة واسعة في الأوساط الأدبية، فشيخ الرواية الجزائرية الطاهر وطار يرفض هذا المصطلح رفضا قاطعا " وإني لا أعترف بمصطلح الاستعجال في الأدب وإن لم نكن نقصد بالاستعجال التهافت من أجل البروز رغم حداثة التجربة والموهبة ".[6]

وبالنسبة للروائي واسيني الأعرج فإنه يُعتبر من أشد منتقدي هذا المصطلح، حيث اعتبر أن هذا الأدب هو توثيق لما حدث في فترة العشرية السوداء كما حصل مع الأدباء الأوروبيين خلال الحربيين العالميتين.

ويرى الناقد والروائي محمد ساري في نصوص الأزمة مجرد كتابات تقريرية تتصف بالتصوير الفوتوغرافي لوقائع وأحداث مرحلة الإرهاب بعيدا عن جماليات وتقنيات النص الروائي الجيد وتقنياته. لقد اتجهت الكتابة في محنتها إلى إعادة إنتاج الواقع محاولة عرض نماذج بشرية آلت إلى وحوش تحترف البطش والتنكيل، وهو ما "يشحن النص الروائي بالتّوترات النّفسية الحادّة التي تتلمس مواطن الضعف واليأس في ربط أجزاء الحدث، فنجد السارد يحكي من دون أن يحدّد البؤرة التي يتمركز حولها الخطاب وذلك في ضبابية الرؤية وزئبقية المعنى".[7]

أما الروائي عزالدين جلاوجي فإنه لا يستعذب مصطلح الأدب الاستعجالي الذي يطلق هكذا اعتباطا على إنتاج جيل بأكمله، فهناك روايات جيدة كتبت في التسعينات والنصوص لا تقاس بالحيز الزماني الذي كتبت فيه بل بقيمتها الفنية والأدبية ".[8]

ومن جانب آخر نجد هناك من يسمي هذه الروايات بـ"روايات الحواجز المزيفة"، وقد أحصى الدارسون 370 رواية منها تناولت هذه التيمة التي يحتاج أغلب نصوصها إلى إعادة بناء أدبي، لافتقارها إلى القواعد الأساسية المتعارف عليها في كتابة الرواية، إلا أن هناك من يرى ذلك أمرًا طبيعيًّا، فالذين كانوا يكتبون زمن الإرهاب لم يكن همهم فنيا، وإنما أرادوا تسجيل شهادة للتاريخ بالنظر إلى" قدرتها على التحول إلى ملجإ /ملاذ يعتصم به الكاتب من هول الطوفان العارم، وإلى سلاح في يده، هو الأعزل الذي لا يجيد استعمال شئ آخر سوى الكتابة".[9]

وتعد رواية المحنة في الجزائر لدى كثير النقاد رواية وليدة محنة اجتماعية كبرى جعلت من الواقع متنا لم تحد عنه كثيرا، فقد سخّر الروائيون أقلامهم لتصوير الإرهاب كهمجية فاقت واقعيتها الخيال، فغدت الرواية في مواجهة الواقع" إن القول براهنية كتابة المحنة لا يحتاج إلى تأويل عميق، فقد كانت ويلات الإرهاب وأثرها على الأفراد والجماعات والقرى والمدن تمثل خلفية لمعظم الأحداث الروائية التي تلقفتها طازجة لتنسج من وحيها عالمها الروائي دون أن تتروى لبناء معادل تخييلي يتتبع الأزمة منذ بداياتها التاريخية، كما فعل بلزاك مثلا، مع كوميدياه البشرية"[10]، وهي أزمة سحبت ظلالها على مختلف المجالات السياسية والاقتصادية "موضوع العنف المعروف إعلاميا بالإرهاب كان مدار معظم الأعمال الروائية التسعينية، إلا أن هذا العنف لم يكن الطابع الوحيد الذي طبعها في السنوات الماضية، فهي لم تكن عشرية الأزمة فقط بل كذلك عشرية التحول نحو اقتصاد السوق وتسريح العمال وإلغاء انتخابات 1991".[11]

إلى جانب هذا التحول السياسي والاقتصادي نجد التحول الاجتماعي الذي لا يقل وطأة الذي سيتبعه تحول في حركة الابداع الأدبي حيث شكل حضور الإرهاب في الرواية الجزائرية تيمة أساسية في رواية التسعينات خاصة وما بعدها عامة، فقد حوّل الروائيون الذين اصطلوا بنار العنف والإرهاب في واقعهم اليومي إلى بنى سردية تعيد رسم الواقع "بالاقتراب من الواقع واختراق خطوطه الحمراء بتنظيم حواجز الصمت للوقوف على حقيقة العنف والألم في الجزائر".[12]

فالروائي الجزائري من خلال معايشته اليومية للمحنة والخوف استطاع نسج عوالم سردية تكاد تكون لوحات فوتوغرافية منقولة من الواقع نقلا مرآويا، فالروائي كان همه تصوير العنف وإدانته وليس التعامل معه فنيا عبر اللغة والسرد، وهو ما نجده في متون رشيد بوجدرة وجيلالي خالص وواسيني الأعرج والطاهر وطار والطاهر جاووت وبشير مفتي وزهرة ديك وغيرهم، حيث كان رصد المأساة بهدف إدانتها يقترب كثيرا من العمل الصحفي، مع اختلافات في الرؤية وطرق المعالجة.

من الروائيين الذين أسسوا لهذه التيمة بطريقة وصلت حد التأريخ:

-واسيني الأعرج: ضمير الغائب (1990)، رمل الماية (1993)، سيدة المقام (1995)، ذاكرة الماء (1997)، شرفات بحر الشمال (2001)، حارسة الظلال النسخة الفرنسية (1996)، والنسخة العربية(1999).

- رشيد بوجدرة: فوضى الأشياء (1990)، تيميمون (1994) .

-أحلام مستغانمي: ذاكرة الجسد (1993) فوضى الحواس(1996) عابر سرير(2003). الأسود يليق بك()

- الطاهر وطّار: الشمعة والدهاليز(1995)، الولي الطاهر يعود إلى مقامه الزكي (1999)، الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء (2005).

-محمد ساري: الورم (1995)

-عبد المالك مرتاض: وادي الظلام (1995)

-مرزاق بقطاش: دم الغزال(2002)

-جيلالي خلاّص: عواصف جزيرة الطيور (1998)، الحب في المناطق المحرّمة (2000)

- الحبيب السائح: ذاك الحنين (1997) تلك المحبة (2002)، تماسخت دم النسيان (2002).

لقد أسهم هؤلاء في إغناء المشهد الروائي الجزائري في التسعينات بشكل جديد وغير مألوف عند الجيل المؤسس في السبعينات والجيل المجدّد في الثمانينات، ليظهر بعدهم جيل جديد جاءت تجاربهم الإبداعية لتواكب محنة الجزائر، وتقف على ما أبدعه كتاب التسعينيات لتنطلق من قاعدة مؤسسة من عدة تجارب روائية لا يستهان بها، فتشكّل هي الأخرى ظاهرة أدبية جديرة بالرّصد والمتابعة النقدية الدقيقة، وهي روايات تفاوتت في قيّمها الجمالية، منها على سبيل المثال:

-بشير مفتي في: المراسيم والجنائز (1998)، أرخبيل الذباب (2000)، شاهد العتمة (2002)

-عزالدين جلاوجي: الفراشات والغيلان (2000)، سرادق الحلم والفجيعة (2000)، رأس المحنة (2003).

-مراد بوكرزازة: شرفات الكلام (2001)، كمال بركاني في: امرأة بلا ملامح (2001).

-محمد زراولة: مدار البنفسج (2002)،

-سفيان زدادقة: كواليس القداسة (2002)،

-حميدة العياشي: متاهات ليلة الفتنة (2000).

-حميد عبد القادر: الانزلاق (1999).

-سعيد بوطاجين في: أعوذ بالله(2006)

كذلك نجد روايات ياسمينة خضرا التي عالجت موضوع الإرهاب خارج الجزائر من خلال رواياته:"سنونوات كابول" و"صفارات بغداد" وكذا" الصدمة" حيث طرحت هذه الثلاثية تيمة الإرهاب والعنف في كل من أفغانستان والعراق وفلسطين على التوالي، وغيرها من الروايات التي عالجت العنف ونقلت الأزمة بكل حيثياتها.

4. رواية الأزمة.. رواية المثقف ضد الإرهاب:

لقد كانت الرواية الجزائرية التي ظهرت خلال العشرية السوداء وسيلة للتعريف بالواقع المرير الذي عاشه الوطن، بل هناك من يراها كانت وسيلة للمقاومة، حيث ترى الروائية مايسة باي أنه " منذ السنوات الأولى من العشرية الرهيبة الماضية نحن متجمدون من الخوف، ومن الصمت الحذر، لذلك أكتب لأرى نفسي في الصفحة، ولأتجنب الصراخ. ومن أجل أن استشعر التفوق على المسألة فوراء فعل الكتابة، ليست عجالة الوقت هي الأسبق، وإنما الرغبة في تحويل وقائع الرعب، على الصفحة. لتدجينها بفعل الإبداع".[13] وقد تعددت النصوص الروائية التي كانت الأزمة موضوعا لها وظهرت أسماء لها وزن حاولت أن تقترب من الواقع وتعود للتاريخ وتستثمر الخيال لإعادة صنع المشاهد وفق رؤية فنية تدين العنف والفساد بمختلف أشكاله وأوجهه.

وتلتقي روايات العشرية السوداء في أنها "تؤرخ لأزمة المثقف الذي أصبح هدفا لعملية العنف"[14]. فقد كان المثقف هدفا للإرهاب "استهدف المثقف الجزائري من الحركات الإسلامية الراديكالية فكفرته أولا في بداية الثمانينات وشهّرت به في خطب بعض المساجد وعلى صفحات بعض الجرائد الموالية لها، ثم انتقلت بعض فصائل هذه الحركات إلى اغتياله وخطفه في بداية التسعينات ".[15]

من هنا ركزت معظم روايات التسعينيات على شخصية المثقف وما يتعرض له من اغتيال وعنف، إذ عاش المثقفون مهددين من طرف الجماعات الإرهابية" فكان الصحفي والرسام والمسرحي والكاتب والفنان وغيره من الفعاليات المثقفة هدفا للموت. جاءت جل الروايات واصفة لحالة الرعب التي يعيشها المثقف لحظة اغتياله".[16]

مثل ما صورته رواية "الشمعة والدهاليز" التي كان بطلها المثقف والشاعر والأستاذ الجامعي يوسف سبتي الذي سوف يُقتل على يد الجماعات المسلحة، يقول وطار أنه "من عجائب ما حدث وأنا أكتب رواية الشمعة والدهاليز أني كنت أتحاور مع الكاتب الجزائري يوسف سبتي عن بعض خيوط الرواية التي هو نفسه بطلها الرمزي وكان رفيقي اليومي والأمين العام لمؤسسة الجاحظية، واختلفت معه في نهاية البطل، كنت أفضل أن يموت مذبوحا، وكان هو يرى غير ذلك، وأنهيت كتابة الرواية وفقا لما رأيت، وبعد نهايتها هجم على الصديق يوسف سبتي القتلة ليلا في بيته، فذبحوه بين كتبه ومؤلفاته وأوراق مشاريعه".[17]

فالروائي يرى أن أحد أهم مقومات العنف والتعصب والارهاب هو الجهل، وأن هذه الجماعات الارهابية تسعى لفرض سيطرتها بالعنف والترهيب ونشر الجهل والقضاء على كل من يحارب الجهل أو يحاول نشر المعلومة

الصحيحة وبالتالي أضحى المثقف هو أهم أهدافهم التي يجب القضاء عليها، وهو ما نجح في تصويره وطار في الشمعة والدهاليز، وهذا مقطع من حوار أحد أفراد الجماعة المسلحة مع الشاعر حول الحضارة الاسلامية وعودت قيامها يقول: " – الحضارة التي أتصورها يغيب فيها السيد، بينما تبقى السيادة، ويبقى المسود، إنها حضارة الإنسان الالي، والديانات ظهرت في عصر الإنسان المزارع ، ألا يقال إن كل الأنبياء رعوا الماشية ؟

-أنت تذهب بعيدا بعيدا أيها الشاعر، وأخاف عليك من كثرة تحكيم العقل، على الأقل في هذه الأيام .."[18].

نلمس في هذا المقطع تهديد خفي من طرف المتكلم المتعصب للشاعر الذي يحاول محاورته

" أيها الشهيد !أيها الشاعر الشهيد! أيها الشهيد الأول في تاريخ الجمهورية الإسلامية ...

كسروا الباب، حطموه ودخلوا. كانوا سبعة ملثمين لا تبدوا من وجوههم إلا أعينهم وفي أيديهم رشاشات وفي أحزمتهم سيوف. دفعوه إلى غرفة النوم، وأمروه بالوقوف، وجلسوا هم ، وأعلنوا بصوت واحدة محكمة."[19] وتكون نهاية الرواية بذبح الأستاذ على يد المسلحين

ومن أبرز روايات بشير مفتي التي صورت الأزمة الوطنية رواية " المراسيم والجنائز" فالروائي قدم لنا في هذه الرواية عدة صور متفاوتة ومختلفة تجسد العنف والتقتيل والمأساة الوطنية في حكاية عدة شخصيات كانت نهايتهم بشعة بشاعة الواقع العنيف والمضطرب، وفي هذا يقول الأستاذ عامر مخلوف "لقد وجدت في المراسيم والجنائز بلغتها الجميلة شهادة على واقع وشهادة على حضور ذات معذبة ومتميزة في رؤيتها وعذابها وفي تعاملها مع الشخصيات التي تتحرك على الرقعة الروائية".[20]

فقد صورت هذه الرواية آلام وآمال المثقف وصراعه الفكري لفهم ما يحدث في وطنه الذي أضحى يعيش واقعا مزريا فوضويا وعنيفا، حيث يقول الروائي" كنا نتوقع أن الحرب ستصمت في سنة أو سنتين استمرت ومرت أربع سنوات وتقتيل شرس وحرب لا ترحم صغيرا ولا كبيرا وبدت بلا نهاية ولا أفق، وبلا أي هدف واضح، لا من هذه الجهة ولا من تلك".[21]حتى أضحى الموت هو أكثر شئ يتم توقعه في اليوم ، يقول بشير مفتي "أنه الأحد صباح متشائم وأسود، لا حديث للناس إلا عن المجزرة وكيف حدثت، لم يعرض التلفزيون إلا بعض الأجساد المقطعة وبرك الدم التي لطخت الأرض، أما الصحافة فلقد صدرت كلها بالأبيض والأسود، واحتلت الصفحة الأولى صورة الأطفال المذبوحين وكتبت مجزرة أخرى تودي بمائة وسبعين جزائريا إلى المقبرة، كنا قد تعودنا على الاغتيالات المباغتة، السيارات المفخخة، القنابل المتفجرة.."[22] هنا نقل مفتي صورة في تصوير مرآوي لواقع مجازر التسعينات ، واقع الموت المباح . فالمثقف بطل هذه الرواية كان بدوره ينتظر الموت:" لقد زاروني البارحة، وطلبوا مني أن لا أنشر أي مقال.

-من هم الذين زاروك ؟

-لقد هددوني بالموت وقالوا أنني لو تماديت في سلوكي التمردي هذا.. ولم أستمع للأوامر، فإنهم سيغلقون حتى الجريدة.

-الآن فهمت، اللعنة عليهم، إنهم لا يحبون سماع صوت آخر.

-لقد قررت الصمت، تصوري صالح بوعنتر يصمت".[23]

ومع تطور الأوضاع نحو التأزم أكثر فأكثر يقرر الأستاذ الهجرة ".. سأهجر.. ما جدوى الموت الآن ، ما جدوى الفناء الآن ، لن يكون هذا قدري ... الهرب الهرب ، الفرار الفرار ..".[24]

وتعد أحلام مستغانمي من أبرز وأول الأقلام النسوية التي عالجت أزمة الجزائر الدموية من حيث قوة وشهرة رواياتها مقارنة بياسمينة صالح في" وطن من زجاج" وزهرو ديك في"بين فكي وطن" وفضيلة الفاروق في "تاء الخجل"، فمستغانمي طرحت أحداث العشرية السوداء بعمق كبير ، فقد صوّرت هذه النكسة التاريخية لأبناء الوطن الواحد الذي أصبح العنف هو لغته الوحيدة، والخوف والرعب هو الشعور الطاغي والعادي، وسمة الحزن والالم هي سمات كل الوجوه التي قد تراها أوتقابلها في العمل أو الحي السكني أو المدرسة أو السوق ، تقول أحلام في رواية "عابر سرير" : "هل يمكن لوطن أن يلحق بأبنائه أذى لا يلحقه حيوان بنسله ؟".[25] وفي روايتها "الأسود يليق بك" تطرح مستغانمي واحدة من أشهر قصص العشرية السوداء والتي تتكرر كثيرا كخطف الأطباء والممرضين والممرضات من طرف الجماعات الإرهابية، بعد أن يفشلوا في إقناعهم بالانضمام إليهم، سواء بالترغيب أو الترهيب ، حيث جُسّدت هذه القصة في شخصية أخ البطلة " هالة" الذي كان محط اهتمام الجماعات المسلحة فقد "أقنعوه بأن يلتحق بالجبال، ليضع خبرته في إسعاف الإخوة هناك ومعالجة جراحهم..".[26] ومن أجل ذلك مارسوا كل طرق الاقناع و الضغط ، إلى أن وصلوا إلى تنفيذ تهديداتهم فقتلوا والده و لم يقفوا هنا بل استمروا في ملاحقته و تهديده إن لم يساعدهم سوف يقتلوا باقي عائلته، وقد عانت البطلة من هذا الوضع والتزمت ارتداء الأسود للأبد حزنا وكمدا، وهنا تقرر هجرت الوطن الممزق وتخلت عن مهنة التدريس التي كانت هي الأخرى هدفا لرصاص القتلة وسكاكينهم، فكل معلم كان مهددا بالقتل في العشرية السوداء.

وعليه يمكننا القول أن شخصية المثقف هي الشخصية المركزية في الروايات التسعينية مما خلق نمطا جديدا للكتابة "تحولت محنة الجزائر إلى محنة ثقافة، إذ بدأ نوع جديد من الكتابة يطفو على السطح معاكسا في جريانه لتيار الكتابات الكلاسكية السابقة".[27]

5.سمات رواية الأزمة:

يمكننا القول أن رواية الأزمة تميزت بمعالجة قضية المثقف، الذي العامل المشترك في كل الروايات السابقة فبطلها هو المثقف وهو الضحية في الوقت ذاته، حيث صورت أحوالهم ومصيرهم المشترك الذي يجمعهم فإما التهميش أو الغربة أو الموت ، وهو ما يؤكده عبد الله شطاح "مهما يكن فإن شخصية المثقف ومكانته في المجتمع ودوره الفكري الخطير والإهمال الذي أولته إياه السلطة السياسية فضلا عن الضريبة الثمينة التي قدمها بين يدي نبوغه وألمعيته، كانت موضوعا متواتر الحضور ومكثف الدلالة في المتن التسعيني برمته".[28]

لقد ولدت رواية المحنة فضاء سرديا تميز بالحضور المكثف لصور العنف والموت من خلال رواج مظاهر الإرهاب والتخريب والقتل وكذا الجثث المتناثرة هنا وهناك، فنجد رواجا لافتا لمفردات مثل الذبح، القتل، بركة دماء، تفجير، هلاك. ومنه فإن روايات الأزمة تعتبر أدبا مسلحا كونه أدان مظاهر العنف والقتل التي شهدها المجتمع الجزائري في تلك الفترة، ويبقى أدبا فرضه واقع قوي "بل أن أحد النقاد الجزائريين البارزين يصفها بالحمراء بدلا من السوداء "في سياق ما أنتجته العشرية الحمراء من أعمال روائية بالعربية والفرنسية لأسماء مشهورة وأخرى مغمورة تراكمت مع مرّ الأيام لتشكل ما يمكن أن نسميه بأدب الأزمة".[29]

وقد اشتركت روايات الأزمة في الطرح الإيديولوجي والديني والسياسي، وتختلف الطريقة والكيفية عند كل كاتب، فهناك من يطرح ويتساءل كأحلام مستغانمي، وهناك من يحلل ويفسر كبشير مفتي، وهناك من استطاع طرح وتفسير ومناقشة ما حدث وما بثته هذه الأوساط المتصارعة من أفكار ومحاجاتها بأفكارها ومبادئها ومعتقداتها، وهو ما نجح فيه الطاهر وطار.

كما تتسم روايات الأزمة بالانفتاح على مختلف الأجناس الأدبية والفنية والخوض في غمار التجريب الروائي الذي يعطي الروائي مساحات إبداعية حرة أوسع بكثير من تلك التي تسمح بها الرواية الكلاسيكية، وبذلك كسر الروائي القالب المتعارف عليه، وهو ما يعتبر قيمة فنية مضافة للكتابة الروائية.

6. خاتمة:

نصل مما سبق أن رواية التسعينيات التي كانت رصدا لواقع متأزم عنوانه الدم، هي رواية واقعية ليس بالمفهوم الفني للواقعية بل بالمفهوم الاجتماعي للواقع، فالروائي أسهب في نقل الواقع وتصويره حتى غدت روايته ضربا من الواقع المؤلم، بل أن محاولة رصد الواقع جعلت لغة الروائي تقترب كثيرا من لغة الصحفي المحقق، مما يجعل الكثير من الروايات عبارة عن شهادات منقولة من الواقع أو سجلات منقولة من الحياة اليومية، فالأحداث تكاد تكون وقائع حقيقية وقعت للكاتب أو لأشخاص قريبين منه، وبالتالي فأحداث هذه الروايات تنتمي دوما للحاضر وقد سحب الموت على أحداثها رؤية مأساوية نابعة من ذات منكسرة لحظة الفجيعة.

أما من حيث بنية الشكل الروائي، فإن هذه الروايات التي أملتها حالة استعجالية لم تكن عبارة عن بنيات جديدة، بقدر ما كانت عبارة عن بنى سردية مألوفة وفق رؤية إيديولوجية طارئة، وهي نصوص كان كثيرها يقترب إلى فنون الصحافة مثل التحقيق والربورتاج في تقريريتها، أكثر مما يقترب إلى الأدب كتخييل يقوم على لغة بيانية شعرية، وهي رواية كثير منها انتهى مبرر وجوده بنهاية العشرية الحمراء التي ظهر مصاحبا لها، وقليل من هذه الروايات من بقي بعد ذلك لاعتبارات تاريخية أكثر منها فنية.

7. الهوامش:

[1] إدريس بوذيبة: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار. منشورات جامعة منثوري. ط1. قسنطينة. 2000. ص51

[2] واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر. بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1986. ص 111

[3] محمد داود: رشيد بوجدرة وإنتاجية النص (أعمال الملتقى الدراسي الدولي حول رشيد بوجدرة). منشورات.CRACS وهران. 2002.ص66

[4] عبد الله شطاح: قراءة في الرواية الجزائرية (متن العشرية السوداء بين سطوة الواقع وهشاشة التخييل). مجلة الحكمة. دورية مستقلة محكمة مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.3. ماي-جويلية2010. الجزائر. ص148

[5] محمد داود: رشيد بوجدرة وإنتاجية النص. ص66

[6] كريمة قطيب. أدب الأزمة في الرواية الجزائرية المعاصرة. مذكرة لنيل شهادة الماستر. جامعة أدرار.2019-2020. ص78

[7] بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية. المطبعة المغربية للطباعة والنشر والإشهار. ط1. تونس. 2005. ص11

[8] كريمة قطيب. أدب الأزمة في الرواية الجزائرية المعاصرة. ص81

[9] عبد الله شطاح: قراءة في الرواية الجزائرية. ص150

[10] نفسه: ص150

[11] إبراهيم سعدي: الرواية الجزائرية والراهن الوطني جريدة الخبر الأسبوعي. ع4. ديسمبر. الجزائر. 1999.ص14

[12] لطيفة قدور: هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر وطار رسالة ماجستر.جامعة قسنطينة.2009-2010. ص53

[13] Rachid Mokhtari:La Graphie de l'Horreur : Essai sur la littérature algérienne (1990-2000) ·Éd: CHIHAB Alger. 2018.p23

[14] آمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل. ط1. 2012.الجزائر. ص176

[15] محمد ساري: محنة الكتابة دراسات نقدية، منشورات البرزخ. الجزائر. ماي 2007.ص43

[16] فريدة ابراهيم موسى: زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية، دراسة نقدية. دار غيداء للنشر والتوزيع. ط1. الأردن .2012. ص23

[17] علي ملاحي: هكذا تكلم وطار. مؤسسة كنوز الحكمة. ط1. الجزائر.2011. ص98

[18] الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز. موفم. ط1. الجزائر. 2004.ص100

[19] نفسه: ص193

[20] عامر مخلوف: الرواية والتحولات في الجزائر. اتحاد كتاب العرب. دمشق. 2000. ص88

[21] بشير مفتي: المراسيم والجنائز، منشورات الاختلاف. ط1. الجزائر. 1998.ص 16

[22] نفسه: ص27

[23]نفسه: ص80

[24]نفسه: ص105

[25]أحلام مستغانمي: عابر سرير منشورات أحلام مستغانمي. ط2. بيروت. 2003. ص49

[26]أحلام مستغانمي: الأسود يليق بك. دار نوفل. بيروت.2012. ص69.

[27]جعفر بابوش: الأدب الجزائري- التجربة والمآل. مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية. وهران.2007. ص223

[28]عبد الله شطاح : مدارات الرعب (فضاء العنف في رواية العشرية السوداء). مطبعة ألفا. الجزائر. 2014.ص147

[29]أحمد منور: ملامح أدبية ودراسات في الرواية الجزائرية. دار الساحل، الجزائر. 2008. ص161

8. قائمة المراجع:

أ- المصادر:

1-أحلام مستغانمي: الأسود يليق بك. دار نوفل. بيروت.2012

2-أحلام مستغانمي: عابر سرير منشورات أحلام مستغانمي. ط2. بيروت. 2003

3-بشير مفتي: المراسيم والجنائز، منشورات الاختلاف. ط1. الجزائر. 1998

4- الطاهر وطار: الشمعة والدهاليز. موفم. ط1. الجزائر.2004

ب- المراجع العربية:

1- آمنة بلعلي: المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأمل. ط1. 2012.الجزائر

2- إبراهيم سعدي: الرواية الجزائرية والراهن الوطني جريدة الخبر الأسبوعي. ع4.ديسمبر .الجزائر1999

3- أحمد منور: ملامح أدبية ودراسات في الرواية الجزائرية. دار الساحل، الجزائر. 2008

4- إدريس بوذيبة: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار. منشورات جامعة منثوري. ط1 . قسنطينة. 2000

بن جمعة بوشوشة: سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية. المطبعة المغربية للطباعة والنشر والإشهار. ط1. تونس. 2005

5- جعفر بابوش: الأدب الجزائري- التجربة والمآل. مركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية. وهران.2007

6-عامر مخلوف: الرواية والتحولات في الجزائر. اتحاد كتاب العرب. دمشق. 2000

7-عبد الله شطاح: قراءة في الرواية الجزائرية (متن العشرية السوداء بين سطوة الواقع وهشاشة التخييل).مجلة الحكمة. دورية مستقلة محكمة مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع.3. ماي-جويلية2010. الجزائر

8- عبد الله شطاح : مدارات الرعب (فضاء العنف في رواية العشرية السوداء). مطبعة ألفا. الجزائر.2014

9-علي ملاحي: هكذا تكلم وطار. مؤسسة كنوز الحكمة. ط1. الجزائر.2011

فريدة إبراهيم موسى: زمن المحنة في سرد الكاتبة الجزائرية، دراسة نقدية. دار غيداء للنشر والتوزيع. ط1. الأردن .2012

10-كريمة قطيب. أدب الأزمة في الرواية الجزائرية المعاصرة. مذكرة لنيل شهادة الماستر. جامعة أدرار.2019-2020

11- لطيفة قدور: هاجس الراهن في ثلاثية الطاهر وطار رسالة ماجستر. جامعة قسنطينة.2009-2010

12- محمد داود: رشيد بوجدرة وإنتاجية النص (أعمال الملتقى الدراسي الدولي حول رشيد بوجدرة). منشورات .CRACSوهران.2002

13- محمد ساري: محنة الكتابة دراسات نقدية، منشورات البرزخ. الجزائر. ماي 2007

14 واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر. بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1986

ج- المراجع الأجنبية:

1- Rachid Mokhtari:La Graphie de l'Horreur : Essai sur la littérature algérienne (1990-2000) ·Éd: CHIHAB Alger. 2018.p23